العالم، وبصورة خاصة فيما يتعلق بخارطة الوطن العربي. وقد أدركت هذه القوى الاستعمارية منذ وقت مبكر ان المنطقة العربية حبلى بالخيرات والثروات التي تستطيع، إذا استغلت جيدا، أن تشكل الشريان الرئوي وعصب الحياة للامبريالية العالمية، كما أدركت ايضا اهمية فلسطين باعتبارها قلب الوطن العربي.

ومن هذا المنطلق، كان للجنة كامبل بنرمان ـ رئيس حزب الاحرار البريطاني ورئيس الوزراء ـ في عام ١٩٠٧ الاثر البالغ في الاستراتيجية الاستعمارية العالمية، خصوصا وان اللجنة كانت عبارة عن مجموعة من مشاهير العلماء والمؤرخين المختصين في مجالات متنوعة، بينهم اساتذة في الجامعات البريطانية والفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والبلجيكية والهولندية. وكانت المهمة التي أوكلت إليها تتلخص بدراسة الوسائل الكفيلة بادامة الاستعمار، ولمواجهة التوسع الاستعماري الالماني، ولتحقيق بعض الاهداف التوسعية في افريقيا وآسيا، في الوقت الذي كانت فيه فرنسا وبريطانيا تتربعان على العرش الاستعماري العالمي. هذا ويعتبر التقرير الذي قدمته اللجنة، بعد عملية البحث والدراسة الواسعة والمعّمقة حول الامبراطوريات السابقة والمعاصرة، من أخطر التقارير العالمية، لأنه تمكن فعلا من اكتشاف الوسائل الضرورية والكفيلة ليس فقط بتـأخـير مصير الاستعمار، بل وبالقضاء على حركات التحرر الوطني في المستعمرات والبلدان التابعة، والعمل على بذر الشقاق والانقسام بين سكان هذه المناطق وتجزئتها لكي يبقى متحكما بزمـام الأمـور لأطول فتـرة ممكنـة، مع ضرب المقـومات الاساسية المؤثرة في التطور والتقدم والاستقلال. وسميت هذه اللجنة باسم رئيسها كامبل بنرمان. واكد التقرير ان البحر الابيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار ومصالح الدول الاستعمارية الآنية والمقبلة، ولا بد لنجاح اية خطة تستهدف حماية المصالح الاوروبية المشتركة، من السيطرة على هذا البحر، وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية، لأن من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع التحكم في العالم(٥٦) . كما حدّد التقرير بصورة اكثر تفصيلا خطورة وأهمية الجسر البري الذي يصل آسيا بأفريقيا وتمر فيه قناة السويس ـ شريان حياة اوروبا ـ، ومناطق اخرى مهمة. كما يعترف التقرير اعترافا صريحا بأن شعب هذه المنطقة تتوفر لديه كل المقومات والعوامل التي تتكون منها القومية، حيث يقول: «في هذه المنطقة الحساسة يعيش شعب واحد تتوفر له من وحدة تاريخه ودينه، ووحدة لسانه وآماله، كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد، وتتوفر في نزعاته التحررية، وفي ثرواته الطبيعية، وفي كثرة تناسله، كل أسباب القوة والتحرر والنهوض». ويتساءل التقرير: «كيف يكون وضع هذه المنطقة إذا توحدت وتحررت واستغلت ثرواتها الطبيعية من قبل أهلها؟ فيجيب المتسائلون: «عند ذلك ستحـل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية، وعندها تتبخر احلام الاستعمار بالخلود، فتتقطع اوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت امبراطوريات الاغريق والرومان»(٥٧)

وفي ضوء هذا التقرير، لم يكن تصريح بلفور، محدداً فلسطين كوطن قومي يهودي، وليد الصدفة مطلقاً، وقد طرحت مشاريع متعددة قبل هذا التاريخ لاقامة مثل هذا الوطن الصهيوني. وهذا عائد بالطبع للعلاقة العضوية والتحالف المصيري بين الصهيونية والامبريالية، يرتبط مصير الاولى بالثانية ارتباطاً وثيقاً، والخطر على استمراريتهما، كامن في هذه المنطقة بالذات. وعلى هذا الاساس كان اقتراح اللجنة «اقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا ويربطهما معاً بالبحر المتوسط، بحيث يشكل في المنطقة، وعلى قرب من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة»(٥٨)

هذه الوقائع التاريخية تؤكد بشكل ملموس ان الحركة الصهيونية لا تتعامل اولاً في تحالفها الا مع الامبريالية القائدة، ولهذا كان تركيزها على لندن في البدء يوم كان لبريطانيا امبراطورية لا تغيب عنها الشمس. ولكن في الوقت الذي خسرت فيه بريطانيا العظمى قوتها وزعامتها الدولية،